تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

١٦ الساحل بين جونية وجبيل

(برجا وعين ماحوز ونهر ابراهيم)

قد حان لنا بعد ذكر الآثار القديمة الموجودة في مشارف كسروان ان نعود الى الساحل فنواصل سيرنا من جسر المعاملتين شمالي خور جونية الى جبيل. ومن سلك هذه الطريق وجد عدّة ابراج ينسبها العامّة الى القديسة هيلانة الملكة. وهي في الحقيقة اقرب منّا عهدًا قد ابتناها اصحابها بعد عهد الفرنج المعروفين بالصليبيين لمراقبة الساحل

ربمّا يستلفت انظار ابنـاء السبيل مرسى صغير يُدعى برجا او بالاحرى طبرجا مشتقٌ من لفظة يونانية (τοπαρχία) يُراد بها قصبة المُماملة او المديريّة. وكان لبرجا في سابق الزمان اسمٌ آخر فينيقيّ مُمات كانت تنسب اليه القصبة فيقال « طبرجا الحل الفلاني » (τοπαρχία X) كما نقول مديريّة كذا. فلم يبقَ اليوم سوى الاسم الدالّ على رتبة البلدة ومقامها. وهـذا الامر يصحّ ايضًا عن قرية أُخرى تدعى باسم برجا (او طبرجا) موقعها جنوبي بيروت عند خان النبي يونس

ويُستدلُّ من اسم برجا المذكور على انّها كانت على عهد ملوك القسطنطينيّة. بل لنا دلائل على انّها وجدت قبلهم بزمان. ألا وهي المغـاور والاسراب والمدافن العديدة

التي يُشاهدها القوم على مقربة من مرساها الصغير فوق الرُبى المحدقة بالقرية على جانبيها. وهذه المدافن القديمة تشغل مكاناً متسعاً قلَّما تجد مثلهُ سعةً في غيرها. ولا شطط ان وكَّدنا في القول أنهُ كان ثمَّت للفينيقيين مدينةٌ صغرى

ومرسى برجا حرج قليل الاتساع وهو شبه جونٍ تراهُ في الغالب بأمن من سورة الرياح. ولا بدع في ان السفن الفينيقيَّة كانت تأوي اليهِ في الاثواء.

ومما ينبئ بشأن برجا في السنين الغابرة بقايا قناتها التي بها كانت تجري المياه منحدرةً اليها من الاودية المشرفة على غزير

وان سرت من برجا ليس بعيدًا عنها وجدت بئرًا او عينًا يدعوها اهل تلك النواحي عين ماحوز. وقد ذُكرت في التواريخ الصليبيَّة مصفَّحةً بمَوْس (Maus)(١). ولعلَّ اصلها يرتقي الى ايَّام الفينيقيين. وهذه العين من الاعمال القديمة الخطيرة يُنزل اليها بدرج محكم الاتقان نُقر في الصخر. وكان بقرب هذه البئر في القرون المتوسطة حصن كما يشهد على ذلك الشريف الادريسي (٢

وفي شمالي عين ماحوز بقرب قريتَيْ بوَّار وصَفْرة مدافن متسعة منقورة في الصخر. لها مداخل عديدة في جوانب تلك الرديان. وهذه القبور تدلُّ على وجود قرية قديمة هناك ما لم يُقَلْ انَّ بلدة برجا كانت تمتدّ الى تلك النواحي وتتَّصل بها

وان تابعت المسير بلغت نهر ابراهيم. وهنا مُشكل في تعريف اصل هذا الاسم الذي ورد ذكرهُ اوَّلًا في جغرافيَّتي الادريسي والدمشقي (٣. والتقاليد المحليَّة تزعم انَّ ابراهيم الذي نُسب اليهِ النهر كان اميرًا على المرَدة. وما لا شبهة فيهِ انَّ الاسم القديم كان ادونيس (تموز). وقد مرَّ لنا في المشرق (٢ : ٢٠٢) انهُ اسم احد آلهة الفينيقيين يقيم لذكرهِ اهل جبيل عيدًا سنويًّا يدعونهُ ادوني (Adonies). ومصبّ هذا النهر جميل

---

١) راجع غليلسوس الصوري ك ٢٢ ف ٢٢

٢) وصف الشام ص ١٧ (ed. Gildmeister). واعلم انَّ الادريسي يذكر بين جونية وماحوز مكانًا يدعوهُ « عطفة سلام » يقول عنهُ انَّهُ « جون كبير يبعد عن جونية عشرة اميال »

٣) طبعة بطرسبرج (ص١٠٧)

المنظر يُدرك من رآهُ كَلَف الفينيقيين باختلاق الخرافات المتعلّقة به. وفي فصل الشتاء بعد الامطار كانت المياهُ تطمو فيضحي لونها كمدًا ضاربًا الى الحمرة فكان الاهلون يزعمون انَّ ذاك هو دم تموز المسفوك فيتوحون عليه

١٢ جُبَيل

ليس من شأننا ان نسرد هنا اخبار هذه المدينة الشهيرة او نلخّص تاريخ احوالها فان ذلك يقتضي كلامًا مطوّلًا يخرج بنا عن الحدود التي افترضناها على انفسنا في مقالتنا (١ وانّما نكتفي بان نذكر فقط آثارها الجليلة التي صبرت على مرّ الزمان

كانت جبيل مدينة الفينيقيين المقدّسة يحجُّون اليها كما يُحجُّ الى المزارات الشهيرة. امّا موقع المدينة القديمة فان جمهور العلماء لا يرونهُ مختلفًا عن مكان البلدة الحديثة. وقد ورد ذكر جُبيل منذ القرن السادس عشر قبل المسيح في الرسالات التي اكتُشفت حديثًا في تلّ العمارنة. ومما جاء هناك من الافادات التاريخيّة انّها كانت على سيف البحر ولها عمارة بحريّة وانّ اهلها كانوا من حذّاق الملّاحين. وفي نبوّة حزقيال (ف ٢٧) وتواريخ الاقدمين ما يؤيّد تقرير هذه الكتابات الجليلة الشأن كما اوضحهُ الدكتور جول روفيه. وكلُّ هذه الشواهد تنطبق على موقع المدينة الحديثة

بيد انَّ جبيل القديمة كانت رحبة الجوانب واسعة الارجاء تمتدّ اكثر من المدينة الحاليّة امتدادًا بالنًا. ولنا على ذلك البيّنات الواضحة منها قطع عديدة من العواميد وبقايا ابنية فخيمة تراها في خارج سور جبيل الحديثة. ثم ان السور الحالي ليس بقديم وهو لا يتجاوز عهد الصليبيين بل هو من اعمالهم. فوجود الآثار القديمة في خارجهِ لا يدلُّ على انها في الاعصار السالفة لم تكن متّصلة بالبلدة. ولمّا استولى الفرنج على المدن الساحليّة في القرون المتوسّطة وجدوا جبيل في حالة من الخراب يُرثى لها. فاخذوا في ترميمها

---

١) ومن اراد الوقوف على تاريخ جبيل فعليهِ بالمُلخصة التي صنّفها الدكتور جول روفيه فقرأها على مسامع نخبة من اهالي بيروت في حفلةٍ عُقدت السنة الماضية في مرسح كلّيتنا. ثم نشرها باطبع في المجلّة الكتابيّة (Revue biblique) بهذا العنوان: Gébal-Byblos, son histoire dans l'antiquité et sa nécropole phénicienne

٢) راجع المقالة المذكورة (ص ٢)

واستعانوا لتشديد المدينة وتحصينها بمواد أخربة البنايات القديمة التي وجدوها قريبة دانية. ولعل ندرة وجود الآثار القديمة في جبيل مسببة من اتخاذها للابنية المستحدثة. وفي عصرنا هذا تلف كثير منها في ابنية قرية عمشيت فكان اهلها ينقلون من جبيل كل ما يصلح لبناء مساكنهم. وهذا لعمري مما يوجب الاسف لان بقايا توقي الاقدمين وتعدّهم

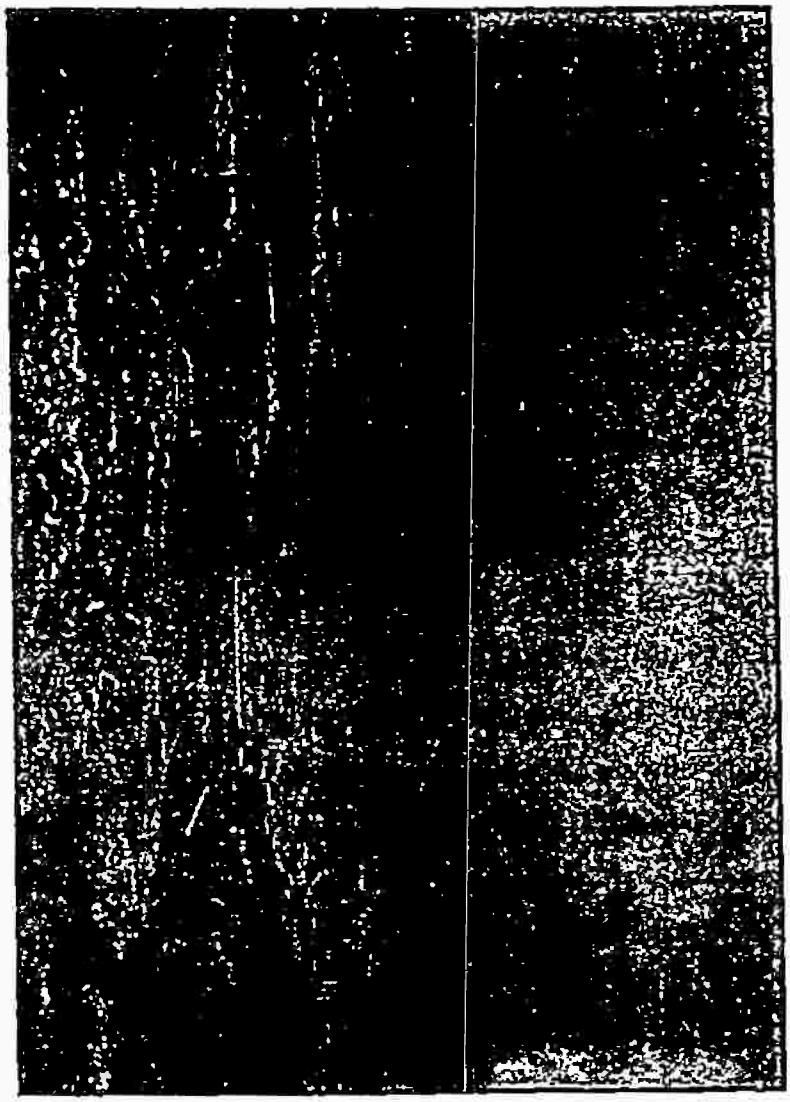

صورة ٢٠٤

يلاشيها التمدُّن الحديث فيصبح لها بمثابة نوائب الحدثان ومصائب الزمان بل اوخم عاقبةً منها كما بيَّن ذلك الدكتور جول روفيه

واذا زدنا على هذه عوامل الخراب الزلازل التي تلاعبت بكثير من آثار جبيل (١ فهمنا كيف انَّ هذه المدينة امّ المستعمرات الفينيقيَّة لم تُبقِ للخلَف من مآثرها السابقة ألّا القِلّ القليل

هذا ونبقي لمددٍ قادم وصف الآثار التي لم تَقوَ عليها صروف الدهر فتُشاهد أطلالها في جُبيل حتى يومنا (ستأتي البقيَّة)

المالوش*

للشاب الاديب الفاضل سليم افندي اصفر مفتش الزراعة في لبنان

من الامثال الشائعة بين الالمان قولهم: « ان عثرت ايها السائر في طريقك على مالوش لا تتجاوز مكانك حتى تُتلف هذه الدويبة الضارَّة »: فهو لعمري كلامٌ ينبيء بما يأتيه المالوش من الاضرار العديدة في تلك البلاد السحيقة. وليست اقطارنا بمعزل عن هذه الآفة المجتاحة. فما من زارع بيننا ألّا يعرفها ويتخوَّف اذاها في بستانه ويبحث عن افعل الوسائل لاتلافها

١ وصف المالوش

المالوش هامَّةٌ من رتبة الحشرات ذات الجناح المتساوي (orthoptères) تدخل في صنف الصراصر المدعوَّة في لسان النباتيين (gryllotalpa vulgaris Latreille) والفرنج يسمونهُ (courtilière) لهُ جسمٌ مستطيل كمد اللون وجوفٌ واسع اسطواني الشكل يجرّهُ على وجه الارض رهو يشبه بشبه خيطين مستدقّي الطرفين. ورأسهُ مخروط وخطمهُ كمنطيسة الخنزير يعلوهُ ابرتان طويلتان. وصدرهُ متحدّب على شكل

* استدنا في مقالنا هذه الى الكتابين الآتيين P. Brocchi : *Traité de Zoologie*, و Valery Mayet : *Le progrès agricole et viticole*

١) راجع المشرق ٢ : ٦٧٠